١٤٩
يأس

[الطويل]

فأَصبحتُ من لَيْلَى الغداةَ كقابِضٍ
على الماءِ خانَتْهُ فُرُوجُ الأَصابِعِ[١]

١٥٠
أمنية

[الطويل]

فَإِنْ تَرْجعِ الأَيَّامُ بيني وبينها
بذي الأثلِ صيفاً مثل صيفي ومَرْبَعِي[٢]
أَشُدُّ بأَعْناقِ النَّوى بعدَ هذه
مَرَائِرَ إِنْ جاذبْتُها لم تَقَطَّعِ[٣]

١٥١
لوم النفس

[الطويل]

أَتبكي على لَيْلَى ونَفْسُكَ باعَدَتْ
مَزارَكَ من لَيْلَى وشِعْباكما مَعا[٤]؟

---

(١) الفروج، مفردها فرجة: الخلل بين شيئين. حال ليلى لا تسرّ حبيباً فمثلها في عدم الإخلاص ونكران الحبّ ونسيان الودّ كمثل من يودّ الإمساك بالماء وقد فرّج بين أصابعه، ففرّ الماء من بينها؛ وتلك هي حال الشاعر مع حبيبته.

(٢) ذو الأثل: اسم مكان. يودّ الشاعر لو تعود أيام كان ينعم بودّ حبيبته بذي الأثل صيفاً وربيعاً، وهل الزمن إلّا صيف وربيع تحل به الحياة؟

(٣) يتمنّى الشاعر لو يستطيع القضاء على البعد لما يحمل للمرء من عذاب وآلام وحسرات على جميل الأيام. ومرارة الفراق طعمها علقم، طويل حبلها يطول بطول البعد.

(٤) الشِّعْب: الحيّ والطريق. المزار: الموضع المقدّس للزيارة. يسأل الشاعر ذاته عن =

فـمـا حَـسَـنٌ أن تـأْتـيَ الأَمْـرَ طـائـعـاً
وتَـجْـزَعَ أَنْ داعـي الـصَّـبـابَـةِ أَسـمَـعـا[١]

قِـفـا وَدِّعـا نَـجْـداً ومَـنْ حَـلَّ بـالـحِـمـى
وقَـلَّ لِـنَـجْـدٍ عـنـدَنـا أَنْ يُـوَدَّعَـا[٢]

ولـمـا رَأَيْـتُ الـبِـشْـرَ أَعْـرَضَ دونَـنـا
وجـالَـتْ بَـنـاتُ الـشَّـوْقِ يَـحْـنَـنَّ نُـزَّعَـا[٣]

تَـلَـفَّـتُّ نـحـوَ الـحَـيِّ حـتـى وَجَـدْتُـنـي
وَجِـعْـتُ مِـنَ الإِصْـغـاءِ لِـيـتـاً وأَخـدَعـا[٤]

بَـكَـتْ عَـيْـنِـي الـيُـسْـرى فـلـمَّـا زَجَـرْتُـهـا
عَـنِ الـجَـهْـلِ بَـعْـدَ الـحِـلْـمِ، أَسْـبَـلَـتـا مَـعـا[٥]

= سبب بكائه وهو سبب آلامه، فقد حوّل طريقه إلى نحو آخر، فلم يعد يزورها، والمشكلة أن سبيلهما واحد يسلكانه ويؤدّي إلى داريهما المتجاورين.

(١) جزع: خاف، وأشفق. ولقد أحسّ الشاعر بفداحة ما وقع فيه من خطأ، فاستسلم طائعاً بإرادته، فإذا بعواطف مفاجئة جارفة تستيقظ في أعماقه حملته على الحزن لذلك.

(٢) يخاطب الشاعر صاحبيه على طريقة شعراء الجاهلية، طالباً منهما الوقوف والتأمل بما آل إليه حال تلك الديار، بعدما ارتحل أحبّة نزلوا بذلك المكان، أما الشاعر، فمن طبيعته الإخلاص إلى نجد، وما تمثله بالنسبة إليه من ذكريات العمر.

(٣) البشر: جبل في البادية من ناحية الفرات. والحقيقة أن الأمور ومحدثاتها في صحراء لا تخضع للنواميس التي يريدها بنو البشر، بل الأحداث تجري بمشيئة إلٰهية تجبر المرء على الرحيل، والشاعر يمتطي جمله، وجبل البشر يصغر في عينيه قليلاً قليلاً، وأخيراً يختفي، فإذا ينبوع من حنان وحبّ إلى أرض الطفولة يفيض ويجيش في النفس.

(٤) اللِّيت: صفحة العنق. والأخدع: عرق العنق. تلفت وتلفت يتتابع نحو الحي، وكلّما بعد المسير بالشاعر، وهو ساكت يحمل في نفسه ألماً وغصّة حتى آلمه عنقه وعروقها من كثرة التفاته، وفي النفس سؤال هل حقيقة أنا تارك الديار؟

(٥) زجره: منعه ونهره. كانت عينه اليسرى أسرع إلى البكاء، بكاء الوداع، وربما لا =

وأَذكُـرُ أَيَّـامَ الـحِـمـى ثـمَّ أَنْـثَـنـي
عـلـى كَـبِـدي مِـنْ خَـشْـيَـةٍ أَنْ تَـصَـدَّعَـا[١]

فـلـيـسَـتْ عَـشِـيَّـاتُ الـحِـمـى بِـرواجِـعٍ
عـلـيـك، ولـكـنْ خَـلِّ عـيـنـيـكَ تَـدْمَـعـا[٢]

مَـعِـي كُـلُّ غِـرٍّ قـد عـصـى عـاذِلاتِـهِ
بِـوَصْـلِ الـغَـوانـي مِـنْ لَـدُنْ أَنْ تَـرَعْـرَعَـا[٣]

إِذا راحَ يـمـشـي فـي الـرِّداءَيـنِ أَسـرَعَـتْ
إِلـيـهِ الـعـيـونُ الـنَّـاظِـراتُ الـتَّـطَـلُّـعَـا[٤]

= تكون عودة إلى الديار، فكانت محاولة ردع، ففي البكاء ضعف وتخاذل؛ فعلى المرء أن يحتكم لعقله، وفجأة وبلا سابق إنذار تجاوبت العين مع أختها، فانهمرت الدموع.

(١) تتلاحق الذكريات على مخيّلة الشاعر؛ ماضٍ جميل سعيد انقضى سِراعاً، والمستقبل مجهول، مستقبل الغربة والوحشة والفشل، وربما الدموع، وهنا يحاول أن يتماسك مخافة أن تتمزّق كبده وتتشقق.

(٢) الزمن لن يرجع إلى الوراء، فتلك الأمسيات في الحمى رحلت ورحلت معها السعادة وراحة الدّعة، لذا طلب الشاعر من عينيه أن تترجم لوعته بدموع دافقات.

(٣) الغِرّ: من يجرب الحياة من الفتيان. صحبة الشاعر من الأغرار الذين لم يلتفتوا إلى عواقب الأمور، ولم تجرّبهم الأحداث، غايتهم في هذه الحياة وصل الغواني، وقد ترعرعوا على ذلك، وهم لا يهتمون لأقوال العاذلات، بل يردّون عليهنّ بالاستمرار على ما عرفوا به.

(٤) الواحد من هؤلاء اللاهين يتزيّا بفاخر اللباس يختال به معتزًّا بما لديه من شباب وغنًى، ممّا يستهوي عيون الحسناوات ينظرن إليه بإعجاب.

أرى أن هذه القصيدة لا تمتّ إلى من عُرف بإحساس المرارة والدموع، فلا تمثّل شعر المجنون، وإنّما هي أقرب إلى شاعر مدنيّ كعمر بن أبي ربيعة مثلاً، فهي تصوّر شاعراً لاهياً مدنياً.